من حِكَم الزوجية الكونية في القرآن والسنة النبوية

د. محمد بن ظافر بن عبدالله الشهري

د. محمد بن ظافر بن عبدالله الشهري

- أستاذ مشارك بقسم السنة وعلومها – كلية الشريعة وأصول الدين – جامعة الملك خالد
- حصل على درجة الماجستير من كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : تحقيق جزء من كتاب المطالب العالية للحافظ ابن حجر العسقلاني
- حصل على درجة الدكتوراه من كلية أصول الدين – جامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بأطروحته : تخريج ودراسة الأحاديث والآثار الواردة في جزء من كتاب الطبقات الكبرى لابن سعد.

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله الذي جلّت آلاؤه عن أن تُحاطَ بعدّ، وتعالت كبرياؤه عن أن تُشتمل بحَدّ، سمت في بوادي معرفته سابلة الأفهام، وغرقت في بحار عزَّته سابحة الأوهام، له الحمد في السموات حمداً يليق بجلاله وعظمته وجبروته وسلطانه، وله الحمد في الأرض حمداً يوافي نعمه ويكافئ مزيده، ولله الحمد ملء السموات والأرض وما بينهما وما شاء من شيء بعد، نحمدك اللهمَّ حمداً كثيراً طيباً مباركاً فيه وأنت أهل الحمد، لا إله إلا أنت، نحمدك حمد الشاكرين، ونستغفرك استغفار المسرفين، ونلجأ إليك لجوء المضطرين، مددنا أيدينا برحمتك إلى رحمتك، وبفضلك تطلَّعت القلوب إلى فضلك، وسعت رحمتك كلّ شيء أنت رحمن الدنيا والآخرة، فهب لنا رحمةً من عندك تهدي بها قلوبنا، وتصلح شأننا، وتلم شعثنا، وتحسن لنا بها العاقبة. وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، أكمل لنا الدين وأتمَّ علينا النعمة، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله، بلَّغ الرسالة وأدى الأمانة ونصح للأمة، وجاهد في الله حقَّ جهاده حتى أتاه اليقين، صلى الله عليه وعلى آله وصحبه خيار هذه الأمة. أما بعد:-

فإن سنن الله الكونية كآياته الشرعية، برهان جلي على كمال الربوبية وجلال الألوهية ولعل من أظهر هذه السنن وأولاها بالاهتمام والبحث سنة: (الزوجية الكونية) إذ تدل على قضية هي القضية الكبرى من بين قضايا الوجود، قضية وحدانية الله -تعالى-، وعلى هذا لم يكن الوحي ليضرب عنها صفحا، دون إشارات وإلماحات تؤكد هذا البرهان المهم من البراهين العقدية.

لقد صرح الكتاب العظيم تارة، وألمح تارة أخرى إلى هذه الحقيقة، لكنها بحاجة لتأمل وطول نظر، وهي وإن كانت محل اهتمام وعناية المتقدمين من علماء الأمة وأسلافها، فإن العلم الحديث كشف جوانب مهمة، وجلى حقائق ربما ظلت طي الخفاء ردحاً طويلاً من الزمن.

وحيث إن هذا الأمر مما قرره الوحي الإلهي في الكتاب العظيم فسأعتني بهذا الجانب من البحث، وأتأمل ما ذكره علماء الإسلام الذين اعتنوا بهذه الإشارات والإلماحات المهمة. علّ ذلك يضيف ويضفي على هذا الأمر مزيد إجلال وتقدير،ويكشف بعض غوامضه، مع علمي بضرورة الرفق وتحري الدقة والاتزان عند الكلام في هذه الحقائق، ولذلك سأعرض هذا البحث المختصر في مباحث ثلاثة:أولها: أستعرض فيه الآيات الصريحة وبعضاً من الأحاديث النبوية في هذا الموضوع، وكذلك النصوص التي تدل على ذلك بالالتزام[١] أو بفحوى الخطاب[٢].وثانيها:ألتمس فيه الحكم والفوائد التي يمكن للمتأمل فهمها من هذه النصوص.وثالثها: أخصه ببيان نواتج العناية الربانية بآيات الزوجية الكونية.

وبذا يجمع هذا البحث المختصر بين الدراسة التحليلية والموضوعية والتماس الحكم والأسرار.

---

(١) الالتزام :أن يدل اللفظ على المعنى في غير ماوضع له،وينقسم إلى :اقتضاء وإشارة وتنبيه. انظر:شرح الكوكب المنير لتقي الدين الفتوحي ص ٤٤٧

(٢) فحوى اللفظ : ما أفاده لا من صيغته، ويسمى إشارة، وإيماء، ولحنا . انظر :شرح مختصر الروضة ٢/ ٧٠٤

سائلا العلي القدير أن يمنّ بالقبول ويتفضل بالتوفيق ويلهم الصواب إنه ولي حميد.

المبحث الأول: الزوجية في آيات القرآن العظيم: وفيه مطلبان:-

المطلب الأول: الآيات الصريحة في مفهوم الزوجية:-

وردت مادة(ز- و-ج) في آيات عديدة من كتاب الله -تعالى- بتصاريف وصيغ متنوعة

فتارة بصيغة الإفراد كقوله جلّ في علاه: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء: ١ ﴿ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا ﴾ الأعراف: ١٨٩ ﴿ ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ الزمر: ٦ ﴿ وَأَنْبَتَتْ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ الحج: ٥ ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا إِلَى الْأَرْضِ كَمْ أَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ ﴾ الشعراء: ٧ ﴿ فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ ﴾ لقمان: ١٠ ﴿ وَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ق: ٧

وتارة بصيغة التثنية: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ قُلْنَا احْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ هود: ٤٠ ﴿ وَمِن كُلِّ الثَّمَرَاتِ جَعَلَ فِيهَا زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ الرعد: ٣ ﴿ فَاسْلُكْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ اثْنَيْنِ ﴾ المؤمنون: ٢٧ ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الذاريات: ٤٩ ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَاكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ الرحمن: ٥٢.

وتارة بالجمع: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِّن نَّبَاتٍ شَتَّىٰ ﴾ طه: ٥٣ ﴿ ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ فاطر: ١١ ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الْأَنْعَامِ أَزْوَاجًا ﴾ الشورى: ١١ ﴿ وَكُنتُمْ أَزْوَاجًا ثَلَاثَةً ﴾ الواقعة: ٧ ﴿ وَخَلَقْنَاكُمْ أَزْوَاجًا ﴾ النبأ: ٨ ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا

يَعْلَمُونَ ﴾ يس: ٣٦ ﴿ وَالَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا ﴾ الزخرف: ١٢ ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ الْأَنْعَامِ ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ ﴾ الزمر: ٦

ووردت صيغة التزويج في آيات كريمة منها قوله -عز وجل-: ﴿ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَاكَهَا ﴾ الأحزاب: ٣٧ ﴿ كَذَٰلِكَ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الدخان: ٥٤ ﴿ وَزَوَّجْنَاهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الطور: ٢٠

وسمّى كلاًّ من الزوجين زوجاً: قَالَ تَعَالَىٰ: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُ ﴾ البقرة: ٢٣٠ ﴿ وَإِنْ أَرَدتُّمُ اسْتِبْدَالَ زَوْجٍ مَّكَانَ زَوْجٍ ﴾ النساء: ٢٠ ﴿ وَأَصْلَحْنَا لَهُ زَوْجَهُ ﴾ الأنبياء: ٩٠ ﴿ تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا ﴾ المجادلة: ١

ولا ريب أن تكرر وتعدد تصاريف هذه الكلمة في التنزيل العزيز برهان جليٌ على أثرها في هذا الكون منذ البدء وحتى الانتهاء إلى دار القرار.

والحق أن كل آية من هذه الآيات جديرة بالاهتمام والتأمل، لكن لعل أوضح لفظ وأجمعه فيما نحن بصدده قوله -تعالى-: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ الذاريات: ٤٩. فالشيء في الآية لفظ عام شامل، وقد ذكر العلماء في المراد به قولين:

أحدهما قاله المنطقيون، وهو قصره على الجنس، فأقل ما يكون تحت الجنس نوعان(١)، فمن كل جنس خلق نوعين، من الجوهر(٢) مثلا: المادي

---

(١) الجنس عند أهل المنطق: اسم دال على كثيرين مختلفين بالأنواع، والنوع: اسم دال على أشياء كثيرة مختلفة بالأشخاص. انظر التعريفات للجرجاني ص ٧٨و٢٤٧

(٢) الجوهر: ماهية إذا وجدت في الأعيان كانت لافي موضوع. وينقسم إلى روحاني كالنفوس المجردة والعقول، وإلى جسماني كالعناصر. انظر التعريفات للجرجاني ص ٧٩- معيار العلم للغزالي ص١٩٣

والمجرد، ومن المادي:النامي والجامد، ومن النامي: المدرك والنبات، ومن المدرك:الناطق والصامت[١].

وثانيهما:أنه كل أمر الخلق، مادياً كان أو معنوياً، فكل أمر الخلق ضدان، صحة وسقم، وغنى وفقر، وموت وحياة، وفرح وحزن، وفوق وتحت، ويمين وشمال، وأمام وخلف[٢] وعلى هذا يقاس.

ولاشك أن هذا أعم وأولى.

أما قوله: زوجين:فكلمة (زوج) بتصاريفها لا تخرج عن معنى أصل الكلمة، فقد ذكرت كتب المفردات أن جمع زوج: أزواج، وأن زوجات جمع زوجة، لكنها لغة رديئة. وكلمة زوج تطلق على عدة معان:-

الأول: كل واحد من القرينين من الذكر والأنثى في الحيوانات المتزاوجة. فالذكر زوج الأنثى، والأنثى زوج الذكر.

الثاني:كل قرينين فيها وفي غيرها، كالخف والنعل. وهذا أعم من سابقه.

الثالث:كل ما يقترن بآخر مماثلاً له أو مضاداً. ومن ذلك قول مجاهد -رحمه الله- (ت١٠١هـ): الكفر والإيمان، والشقاء والسعادة، والهدى

---

(١) المادي هو المجرد ويعرفه المناطقة بأنه: الذي أخذ قدره من الفراغ، وينقسم من حيث هو إلى: جامد و غيره. فغير الجامدكالماء. والجامد ينقسم إلى:نامي، وغيره. فغير النامي كالحجر. والنامي ينقسم إلى:نامي بنفسه، ونامي بغيره. النامي بنفسه كالأشجار، والكلأ، وما أشبه ذلك. والنامي بغيره ينقسم إلى: عاقل، وغيره. فغيرالعاقل كالبهائم .والعاقل ينقسم إلى: مؤمن وغيره.(انظر الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام – السنوسي ص ١٢-١٣)

(٢) انظر:مفاتيح الغيب للرازي٢٨/ ١٨٨- تفسير الماوردي ٥/ ٣٧٤

والضلالة، والليل والنهار، والسماء والأرض، والجن والإنس، والبر والبحر، والشمس والقمر، وبكرة وعشية، ونحوهذا كله[1]

وهذا أعم من سابقيه، وهو أولى ليعم كل المخلوقات.

قال الحسن البصري -رحمه الله- (ت ١١٠هـ): السماء زوج، والأرض زوج، والشتاء زوج، والصيف زوج، والليل زوج، والنهار زوج، حتى يصير الأمر إلى الله الفرد الذي لا يشبهه شيء[2]

وقال الفراء -رحمه الله- (ت٢٠٧هـ): الزّوجان من جميع الحيوان: الذكر والأنثى، ومن سوى ذلك: اختلاف ألوان النبات، وطعوم الثمار، وبعض حلو وبعض حامض، فذانك زوجان. اهـ[3]

وبهذا فسر قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلشَّفْعِ وَٱلْوَتْرِ ﴾ الفجر: ٣ أن الشفع هو ماتقدم وأن الوتر هو الله -تعالى-. [4]

وهذه المعاني الثلاثة لكلمة (زوج) ذكرها الراغب -رحمه الله- (ت٤٢٥هـ) وأشار إلى أن قوله -تعالى-: ﴿ وَمِن كُلِّ شَيْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ تنبيه أن الأشياء كلها جوهر وعرض، ومادة وصورة، وأن لاشيء يتعرى عن تركيب يقتضي كونه مصنوعاً وأنه لابد له من صانع، تنبيهاً على أنه -

(١) أخرجه ابن جرير في تفسيره بسنده إلى مجاهد ٢٤/ ٣٥١، وابن المنذر كما في الدر المنثور للسيوطي ١٣/ ٦٧٢

(٢) انظرتفسير ابن جرير الطبري ١٢/ ٤٠٩

(٣) معاني القرآن للفراء ٣/ ٨٩

(٤) تفسير ابن أبي حاتم ١٠/ ٣٤٢٤

تعالى- هو الفرد.[١]

وقد ذكر أبو الفضائل المعيني (ت٥٣٧هـ) أن كلمة(زوج) في القرآن العظيم استعملت في معاني متعددة، إذ وردت فى القرآن على أربعة عشر وجهاً:-

الأول: بمعنى أصناف الموجودات، من الجمادات أو غير الجمادات: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ يس: ٣٦

الثاني: بمعنى الحيوانات المأكولات: ﴿ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ مِّنَ ٱلضَّأْنِ ٱثْنَيْنِ وَمِنَ ٱلْمَعْزِ ٱثْنَيْنِ ﴾ الأنعام: ١٤٣ ﴿ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلْأَنْعَٰمِ ثَمَٰنِيَةَ أَزْوَٰجٍ ﴾ الزمر: ٦

الثالث: بمعنى أجناس الحيوانات: ﴿ قُلْنَا ٱحْمِلْ فِيهَا مِن كُلٍّ زَوْجَيْنِ ٱثْنَيْنِ ﴾ هود: ٤٠.

الرابع: بمعنى كل ما له زوج من المخلوقات: ﴿ وَمِن كُلِّ شَىْءٍ خَلَقْنَا زَوْجَيْنِ ﴾ الذاريات: ٤٩.

الخامس: بمعنى أنواع الأشجار والنبات: ﴿ مِن كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ ﴾ ق: ٧.

السادس: بمعنى البنين والبنات: ﴿ أَوْ يُزَوِّجُهُمْ ذُكْرَانًا وَإِنَٰثًا ﴾ الشورى: ٥٠.

السابع: بمعنى المنكوحات المحللات: ﴿ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَٰجًا ﴾ الشورى: ١١.

الثامن: بمعنى المحلل فى حق المطلقات: ﴿ حَتَّىٰ تَنكِحَ زَوْجًا غَيْرَهُۥ ﴾ البقرة: ٢٣٠.

---

(١) انظر المفردات للراغب الأصفهاني ص٣٨٤

التاسع: بمعنى المخلفات في عدة الوفاة: ﴿ وَٱلَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَٰجًا ﴾ البقرة: ٢٣٤.

العاشر: بمعنى الحوراء والعيناء من حرائر الجنات: ﴿ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ﴾ البقرة: ٢٥ ﴿ وَزَوَّجْنَٰهُم بِحُورٍ عِينٍ ﴾ الطور: ٢٠.

الحادي عشر: بمعنى الفواكة والثمرات: ﴿ فِيهِمَا مِن كُلِّ فَٰكِهَةٍ زَوْجَانِ ﴾ الرحمن: ٥٢.

الثاني عشر: بمعنى اقتران الروح بالجسد: ﴿ وَإِذَا ٱلنُّفُوسُ زُوِّجَتْ ﴾ التكوير: ٧.

الثالث عشر: بمعنى حواء عليها السلام: ﴿ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا ﴾ النساء: ١.

الرابع عشر: بمعنى مخدرات حجر النبوة: ﴿ زَوَّجْنَٰكَهَا ﴾ الأحزاب: ٣٧ ﴿ وَلَآ أَن تَنكِحُوٓاْ أَزْوَٰجَهُۥ مِنۢ بَعْدِهِۦٓ أَبَدًا ﴾ الأحزاب: ٥٣ ﴿ وَأَزْوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمْ ﴾ الأحزاب: ٦. (١)

فمن هذه المعاني ما يشير إلى الزوجية بين الذكور والإناث، وهو الأغلب، ومنها ما يشير إلى القرين المماثل كما في المعنى الثاني والخامس والحادي عشر، ومنها ما يشير إلى المعنى المضاد وهو قليل كما قد يفهم من المعنى السادس.

هذه بعض من الآيات الكريمة التي وردت فيها هذه المادة صراحة، وواضح أنها آيات كثيرة وتصاريف متعددة تدل على شأن الزوجية في هذا الكون.

---

(١) بصائر ذوي التمييز للفيروزآبادي ٣/ ١٤٤

المطلب الثاني :الإشارات القرآنية إلى هذه الحقيقة :

إلى جانب الآيات الصريحة في بيان حقيقة الزوجية هناك آيات أشارت إشارات جلية، وإن لم تذكر فيها هذه المادة بعينها. ومن تلك الإشارات:-

أولاً:من دقائق دلائل قدرة الله -تعالى- أنه أقسم بحقائق زوجية كونية على حقائق شرعية، وذلك كقوله -تعالى-: ﴿ وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰ وَٱلنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّىٰ وَمَا خَلَقَ ٱلذَّكَرَ وَٱلۡأُنثَىٰٓ إِنَّ سَعۡيَكُمۡ لَشَتَّىٰ ﴾الليل: ١ - ٤ فأقسم بالليل والنهار وهما زوجان، والذكر والأنثى وهما كذلك على أن سعي بني آدم وأعمالهم أزواج متضادة مختلفة، منها خير ومنها شر، وليست على نسق واحد. [١]

وفي قوله -تعالى-: ﴿ وَٱلشَّمۡسِ وَضُحَىٰهَا وَٱلۡقَمَرِ إِذَا تَلَىٰهَا وَٱلنَّهَارِ إِذَا جَلَّىٰهَا وَٱلَّيۡلِ إِذَا يَغۡشَىٰهَا وَٱلسَّمَآءِ وَمَا بَنَىٰهَا وَٱلۡأَرۡضِ وَمَا طَحَىٰهَا وَنَفۡسٖ وَمَا سَوَّىٰهَا فَأَلۡهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقۡوَىٰهَا قَدۡ أَفۡلَحَ مَن زَكَّىٰهَا وَقَدۡ خَابَ مَن دَسَّىٰهَا ﴾ الشمس: ١ - ١٠ فأقسم بعدد من الحقائق الزوجية الكونية على انقسام النفوس إلى زوجين زكية وخبيثة، بحسب تزكية الوحي لها وعدمه.

ثانياً:جعل الله -تعالى- خلق الزوجين من حقائق الربوبية التي يستدل بها على توحيد الألوهية فقال -جل وعلا-: ﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَۖ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِرَبِّهِمۡ يَعۡدِلُونَ ﴾ الأنعام: ١ قال الإمام الطبري: ليس من هذه الآلهة شيء شركه في خلق شيءٍ

(١) انظر تفسير ابن كثير ٨/ ٤١٧

من ذلك، ولا في إنعامه عليهم بما أنعم به عليهم، بل هو المنفرد بذلك كله وهم يشركون في عبادتهم إيّاه غيره. فسبحان الله ما أبلغها من حجة، وأوجزها من عظة لمن فكَّر فيها بعقل، وتدبرها بفهم!(١)

وكل إشارات المفسرين تذكر عظمة خلق هذه الأجرام وما جعله الله فيها من منافع الخلق وكذا خلقه للظلمات والنور الحسي والمعنوي، لكن لا تخفى دلالة الآية بوضوح على ما نحن بصدده. وفي التعبيربالخلق في السموات والأرض، وبالجعل فى الظلمات والنورحكمة، هي : أن الخلق معناه الإنشاء الابتدائى، والجعل يتضمن معنى تكوين شيء من شيء أو شيئين، وقد يتضمن الخلق ذلك المعنى بقرينة، وهنا المتبادر من المعنى أن الله تعالى أنشأ السموات والأرض إنشاء، وجعل منها الظلمات والنور، فمن اختفاء الشمس عن الأرض يكون ظلام الليل، ومن بزوغ الشمس على الأرض يكون النور، وذلك كله بجعل الله تعالى، وبأصل التكوين والتقدير من العزيز العليم.(٢)

ثالثاً: لم تغب هذه الحقيقة عن أنبياء الله ورسله -عليهم الصلاة والسلام- عند محاجتهم لأقوامهم، فهذا سيد الحنفاء إبراهيم -عليه السلام- قال الله -تعالى- عنه: ﴿ أَلَمْ تَرَ إِلَى ٱلَّذِى حَآجَّ إِبْرَٰهِـۧمَ فِى رَبِّهِۦٓ أَنْ ءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ إِذْ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ رَبِّىَ ٱلَّذِى يُحْىِۦ وَيُمِيتُ قَالَ أَنَا۠ أُحْىِۦ وَأُمِيتُ ۖ قَالَ إِبْرَٰهِـۧمُ فَإِنَّ ٱللَّهَ يَأْتِى بِٱلشَّمْسِ مِنَ ٱلْمَشْرِقِ فَأْتِ بِهَا مِنَ ٱلْمَغْرِبِ فَبُهِتَ ٱلَّذِى

(١) تفسير ابن جرير الطبري ١١/ ٢٥٢

(٢) انظر تفسير المنار ٧/ ٢٩٢ – المفردات للراغب ص١٩٦

كَفَرَۗ وَٱللَّهُ لَا يَهۡدِى ٱلۡقَوۡمَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴾البقرة:٢٥٨ فقد حاج –عليه السلام– هذا الطاغيةَ بأن الله –تعالى– يخلق المتضادين، ومازال به حتى ألزمه الحجة ودمغه بالبرهان الجلي الدال على وحدانية الله وقدرته. وسلك هذا المنهج أيضا بفطرته الإيمانية في محاجة عبّاد الكواكب والأجرام، فقد حكى الله –تعالى– ذلك عنه بقوله:﴿ وَكَذَٰلِكَ نُرِىٓ إِبۡرَٰهِيمَ مَلَكُوتَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَلِيَكُونَ مِنَ ٱلۡمُوقِنِينَ فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأٓفِلِينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلۡقَمَرَ بَازِغٗا قَالَ هَٰذَا رَبِّىۖ فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَئِن لَّمۡ يَهۡدِنِى رَبِّى لَأَكُونَنَّ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلضَّآلِّينَ فَلَمَّا رَءَا ٱلشَّمۡسَ بَازِغَةٗ قَالَ هَٰذَا رَبِّى هَٰذَآ أَكۡبَرُۖ فَلَمَّآ أَفَلَتۡ قَالَ يَٰقَوۡمِ إِنِّى بَرِىٓءٞ مِّمَّا تُشۡرِكُونَ إِنِّى وَجَّهۡتُ وَجۡهِىَ لِلَّذِى فَطَرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ حَنِيفٗاۖ وَمَآ أَنَا۠ مِنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ ﴾الأنعام:٧٥–٧٩ لقد تدرج –عليه السلام– في تقرير هذه الحقيقة لقومه من أصغر الكواكب المشاهدة جرما إلى أعظمها، وأثبت لهم حقيقة لامفرّ منها وهي أن كل ما يناله الأفول والذهاب والنقص لا يستحق أن يكون إلهاً، لأن الإله مطلع على خلقه محيط بهم لا يغيبون عنه طرفة عين وهو ما ينافيه الأفول.

وهذا موسى –عليه السلام– يجيب فرعون بما حكاه الله عنه في قوله –تعالى–:﴿ قَالَ فَمَا بَالُ ٱلۡقُرُونِ ٱلۡأُولَىٰ قَالَ عِلۡمُهَا عِندَ رَبِّى فِى كِتَٰبٖۖ لَّا يَضِلُّ رَبِّى وَلَا يَنسَى ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلۡأَرۡضَ مَهۡدٗا وَسَلَكَ لَكُمۡ فِيهَا سُبُلٗا وَأَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَخۡرَجۡنَا بِهِۦٓ أَزۡوَٰجٗا مِّن نَّبَاتٖ شَتَّىٰ ﴾ طه: ٥١ – ٥٣

فهو يؤكد له أن الذي خلق الأزواج من نبات شتى قادر على أن يحييهم بعد موتهم ويجازيهم بأعمالهم وليس الموت نهاية المطاف، فالذي خلق

الموت خلق الحياة.

وكان من أظهر معجزاته والسبب الرئيس لإيمان من آمن من قوم فرعون أن جمع الله له بين الحياة والموت في العصا حين ألقاها، عندها انقطعوا وألقوا سجداً، قال -تعالى-: ﴿ فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴾ الشعراء: ٣٢

فهذه الحقائق وأمثالها مما عني به الكتاب العزيز في ثنايا آياته تأكيداً لأمر التوحيد، وتحقيقاً لأدلته وبراهينه الساطعة.

المبحث الثاني: من حِكَم آيات الزوجية:

لهذه السياقات القرآنية العظيمة حول الزوجية في هذا الكون حِكَم جدّ بليغة، لعل من أهمها:-

الحكمة الأولى: ما تقدم آنفا من إثبات وحدانية الله -تعالى- الذي لا زوج له. فهو وتر -جل وعلا-، مستغن عما سواه بخلاف كل المخلوقات فهي شفع، وكل مخلوق محتاج إلى زوجه. لأجل هذا نزه الله -تعالى- ذاته العلية عن اتخاذ الصاحبة والولد، لأنه فرد صمد، فقال جل جلاله: ﴿ بَدِيعُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُۥ وَلَدٌ وَلَمْ تَكُن لَّهُۥ صَٰحِبَةٌ ۖ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ شَىْءٍ عَلِيمٌ ﴾الأنعام:١٠١ ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةً وَلَا وَلَدًا ﴾الجن:٣ وحمد نفسه العلية ونزهها وأثنى عليها إذ لم يتخذ ولداً ولا شريكاً ولا ولياً، لأنه لا زوج له وليس محتاجاً لأحد، لكمال وحدانيته وعزته وقوته، قال -تعالى-: ﴿ وَقُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ وَلِىٌّ مِّنَ ٱلذُّلِّ ۖ وَكَبِّرْهُ تَكْبِيرًا ﴾الإسراء:١١١ ﴿ تَبَارَكَ ٱلَّذِى نَزَّلَ ٱلْفُرْقَانَ عَلَىٰ عَبْدِهِۦ لِيَكُونَ لِلْعَٰلَمِينَ نَذِيرًا ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ شَرِيكٌ فِى ٱلْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَىْءٍ فَقَدَّرَهُۥ تَقْدِيرًا ﴾الفرقان:١-٢ وقرن بين نفي الولد ونفي الشريك لأنهما إما زوج وإما نتاج زوج، وهو -جل وعلا- منزه عن كل منهما، قال -تعالى-: ﴿ مَا ٱتَّخَذَ ٱللَّهُ مِن وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُۥ مِنْ إِلَٰهٍ ۚ إِذًا لَّذَهَبَ كُلُّ إِلَٰهٍۭ بِمَا خَلَقَ وَلَعَلَا بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ ۚ سُبْحَٰنَ ٱللَّهِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴾المؤمنون:٩١ ثم ذكر هذه السورة العظيمة في باب التوحيد في خواتيم الكتاب العزيز وهي

سورة الإخلاص ﴿ قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ وَلَمْ يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ﴾ الإخلاص: ١ – ٤

وبهذا يتبين أن الفرد أفضل من الزوج، ولذا ذكره الله –تعالى––دون الزوج– في مواضع عديدة لشرفه، منها قوله جلّ شأنه: ﴿ سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ ۖ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ ﴾ الكهف: ٢٢ ﴿ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَىٰ ثَلَٰثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَآ أَدْنَىٰ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا۟ ﴾ المجادلة: ٧ ذكر الفخر الرازي –رحمه الله– من الحكم في الاقتصار على العدد الوتر أن العدد الفرد أشرف من الزوج، لأن اللهَّ وتر يحب الوتر، فخص الأعداد الفرد بالذكر تنبيها على أنه لا بد من رعاية الأمور الإلهية في جميع الأمور. [1]

وفي السنّة الشريفة يبين لنا المصطفى صلى الله عليه وسلم هذه الحقيقة، فعن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال:(وهو وتر يحب الوتر)[2].

وعن علي – رضي الله عنه – قال:قال رسول الله –صلى الله عليه وسلم– (يا أهل القرآن أوتروا فإن الله وتر يحب الوتر)[3].

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٩/ ٤٩٠ –وانظر روح المعاني للألوسي ١٤/ ٢١٨

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك:الدعوات ب:لله مائة اسم غير واحد ٤/ ١٧٤، ومسلم في الذكر ب:في أسماء الله تعالى ٥/ ٥٣٥

(٣) أخرجه أبو داود في سننه ك:الصلاة ب:استحباب الوتر٢/ ١٢٧، والترمذي في سننه أبواب الوتر ب: أن الوتر ليس بحتم ١/ ٢٨٢ وقال:حديث حسن.

وفي الشرع المطهر التصريح بمراعاة الوتر في كثير من الأحكام، من ذلك مارواه أبو هريرة رضي الله عنه يرفعه: (إذا استجمر أحدكم فليستجمر وتراً، فإن الله وتر يحب الوتر)(١) ولفظ ابن خزيمة: (إذا استجمر أحدكم فليوتر فإن الله وتر يحب الوتر، أما ترى السماوات سبعاً والأرض سبعاً والطواف سبعاً وذكر أشياء)(٢)

وعن عائشة رضي الله عنها قالت: إن الله وتر يحب الوتر أن يدعى هكذا، وأشارت بإصبع واحدة(٣).

بل التمس العلماء علة الإيتار من أحكام أخرى منها حديث عائشة رضي الله عنها كانت تحدث أن النبي قال بعد ما دخل بيته واشتد وجعه: (هريقوا عليّ من سبع قرب لم تحلل أوكيتهن)(٤). قال العيني -رحمه الله-: نهاية العدد عشرة، والمائة تتركب من العشرات والألوف من المئات، والسبعة من وسط العشرة وخير الأمور أوساطها، وهي وتر والله -تعالى-

---

(١) أخرجه أحمد في مسنده ٢/ ٢٤٥ بهذا اللفظ،وهو في صحيح مسلم ك:الطهارة ب: الإيتار في الاستنثار والاستجمار ١/ ٥٢٢ بسند أحمد ومتنه دون قوله :فإن الله وتر يحب الوتر.

(٢) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ١/ ٤٢ باب الدليل على أن الأمر بالوتر في الاستطابة أمر استحباب لا أمر إيجاب. وضعفه الأعظمي. والحاكم في المستدرك ١/ ٢٦١ وقال: على شرط الشيخين، لكن قال الذهبي: منكر.

(٣) أخرجه ابن أبي شيبة في مصنفه ١٠/ ٣٨١

(٤) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الوضوء ب: الغسل والوضوء في المخضب والقدح ١/ ٨٤

يحب الوتر[١]. اهـ

إلى غير ذلك من نصوص الشريعة التي راعت أعداد الوتر في أحكامها وحِكَمها، ومن تتبعها ظهر له الكثير منها واضحاً جلياً.

وقد ثبت علمياً أنه لا يوجد كائن موجود بمعنى الوتر قط، حتى الحصاة الصغيرة، فإنه ثبت أن كل كائن جماد أو غيره مكون من ذرات والذرة لها نواة ومحيط، وبينهما ارتباط وعن طريقهما التفجير الذي اكتشف في هذا العصر، حتى في أدق عالم الصناعة كالكهرباء؛ فإنها من سالب وموجب، وهكذا لا بد من دورة كهربائية للحصول على النتيجة من أي جهاز كان، حتى الماء، فهو زوج وشفع من عنصرين: أوكسجين وهيدروجين، ينفصلان إذا وصلت درجة حرارة الماء إلى مائة – أي: الغليان – ويتآلفان إذا نزلت الدرجة إلى حد معين فيتقاطران ماء. وهكذا. ونفس الهواء عدة غازات وتراكيب، فلم يبق في الكون شيء قط فرداً وتراً بذاته إلا الله –تعالى–. [٢]

الحكمة الثانية: كما أن الله –تعالى– وتر فرد، فكذلك أسماؤه وصفاته –تعالى– وتر، ليست كأسماء أو صفات المخلوقين، فعلمه بلا جهل، وحياته بلا موت، وغناه بلا فقر، وقوّته بلا ضعف[٣] وهو ما أثبتته آيات كثيرة، حيث وصف الله –تعالى– بصفاته العلية مطلقة مستغرقة لأفراد الجنس

(١) عمدة القاري ٤/ ٤٢٩

(٢) عن أضواء البيان للشنقيطي بتصرف ٨/ ٥٢٢

(٣) انظر أضواء البيان للشنقيطي ٨/ ٥٢٢

ولعل من أظهرها دلالة أعظم آية في كتاب الله -تعالى-، آية الكرسي: ﴿ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلۡحَيُّ ٱلۡقَيُّومُۚ لَا تَأۡخُذُهُۥ سِنَةٞ وَلَا نَوۡمٞۚ لَّهُۥ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۗ مَن ذَا ٱلَّذِي يَشۡفَعُ عِندَهُۥٓ إِلَّا بِإِذۡنِهِۦۚ يَعۡلَمُ مَا بَيۡنَ أَيۡدِيهِمۡ وَمَا خَلۡفَهُمۡۖ وَلَا يُحِيطُونَ بِشَيۡءٖ مِّنۡ عِلۡمِهِۦٓ إِلَّا بِمَا شَآءَۚ وَسِعَ كُرۡسِيُّهُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَۖ وَلَا يَـُٔودُهُۥ حِفۡظُهُمَاۚ وَهُوَ ٱلۡعَلِيُّ ٱلۡعَظِيمُ ﴾ البقرة: ٢٥٥ وكذلك سورة الإخلاص، وليس الأمر كذلك في المخلوقين لأن صفاتهم ليست فرداً بل زوجاً، فعلمهم مسبوق بجهل مصحوب بعدم كمال ويعقبه النسيان، وغناهم يكتنفه الفقر قبله وأثناءه وبعده. وهكذا كل صفاتهم وأحوالهم. ومن هذا القبيل نفي النبي -صلى الله عليه وسلم- بعض صفات النقص عن الله -تعالى- إذا عرض الوهم باتصافه بها، كما في حديث أبى موسى رضي الله عنه قال: قام فينا رسول الله -صلى الله عليه وسلم- بخمس كلمات فقال: (إن الله -عز وجل- لا ينام ولا ينبغى له أن ينام، يخفض القسط ويرفعه، يرفع إليه عمل الليل قبل عمل النهار وعمل النهار قبل عمل الليل، حجابه النور -وفى رواية أبى بكر النار- لو كشفه لأحرقت سبحات وجهه ما انتهى إليه بصره من خلقه)(١)

وقد أخبر النبي الكريم -صلى الله عليه وسلم- عن أسمائه -عز وجل- بقوله في الحديث المشهور الذي رواه أبو هريرة -رضي الله عنه-: (إن لله تسعة وتسعين اسما مائة إلا واحدا من أحصاها دخل الجنة)(٢). فمن العلماء

(١) أخرجه مسلم في صحيحه ك: الإيمان ب: إثبات رؤية الله عز وجل ١/ ٤٢٣

(٢) أخرجه البخاري في صحيحه ك: الدعوات ب: لله مائة اسم غير واحد ٤/ ١٧٤، ومسلم في الذكر ب: في أسماء الله تعالى ٥/ ٥٣٥ .

من التمس الحكمة في تسعة وتسعين، وحاصل ذلك ما ذكره العيني -رحمه الله- وغيره من أن منتهى الإفراد من المراتب من غير تكرار تسعة وتسعون، لأن مائة وواحدا يتكرر فيه الواحد، وقيل: الكمال في العدد من المائة، لأن الأعداد كلها ثلاثة أجناس:آحاد وعشرات ومئات، لأن الألوف ابتداء آحاد آخر بدل عشرات الألوف وآحادها، فأسماء الله -تعالى- مائة، وقد استأثر الله منها بواحد وهو الاسم الأعظم لم يطلع عليه غيره، فكأنه قال:مائة لكن واحد منها عند الله [1]. اهـ وهو توجيه حسن، مع التنبه إلى ما ذكره الإمام النووي -رحمه الله- من اتفاق العلماء على أن الحديث لا يدل على حصر أسماء الله -تعالى- في تسعة وتسعين وإنما مقصوده أن هذه الأسماء من أحصاها دخل الجنة. [2]

أقول: تبعاً لهاتين الحكمتين فإن أهل الحساب -كما ذكرالفخر الرازي -رحمه الله- (ت٦٠٦هـ)- بينوا أن الفرد أفضل من الزوج من خمسة وجوه:-

الأول:أن أقل الأزواج هو الاثنان، وهو لا يوجد إلا عند حصول وحدتين، فالزوج يحتاج إلى الفرد والفرد وهو الوحدة غنية عن الزوج، والغني أفضل من المحتاج.

الثاني: أن الزوج يقبل القسمة بقسمين متساويين، والفرد هو الذي لا يقبل القسمة وقبول القسمة انفعال وتأثر وعدم قبولها قوة وشدة ومقاومة،

---

(١) عمدة القاري للعيني ٢١/ ٢٩

(٢) انظر: المنهاج شرح صحيح مسلم للنووي ٩/ ٣٩ .

فكان الفرد أفضل من الزوج.

الثالث:أن العدد الفرد لا بد وأن يكون أحد قسميه زوجاً والثاني فرداً، فالعدد الفرد حصل فيه الزوج والفرد معاً، وأما العدد الزوج فلا بد وأن يكون كل واحد من قسميه زوجاً والمشتمل على القسمين أفضل من الذي لا يكون كذلك.

الرابع: أن الزوجية عبارة عن كون كل واحد من قسميه معادلاً للقسم الآخر في الذات والصفات والمقدار، وإذا كان كل ما حصل له من الكمال فمثله حاصل لغيره، لم يكن هو كاملا على الإطلاق. أما الفرد فالفردية كائنة له خاصة لا لغيره ولا لمثله، فكماله حاصل له لا لغيره، فكان أفضل.

الخامس: أن الزوج لا بد وأن يكون كل واحد من قسميه مشاركاً للقسم الآخر في بعض الأمور ومغايراً له في أمور أخرى، وما به المشاركة غير ما به المخالفة، فكل زوجين فهما ممكنا الوجود لذاتيهما، وكل ممكن فهو محتاج.

فثبت بهذه الأوجه كلها أن الزوجية منشأ الفقر والحاجة، وأما الفردانية فهي منشأ الاستغناء والاستقلال. لأن العدد محتاج إلى كل واحد من تلك الوحدات، وأما كل واحد من تلك الوحدات في الفرد فإنه غني عن ذلك العدد، فثبت أن الأزواج ممكنات ومحدثات ومخلوقات وأن الفرد هو القائم بذاته، المستقل بنفسه، الغني عن كل ما سواه، فلهذا قال -سبحانه-: ﴿ وَٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا ﴾ الزخرف: ١٢. (١)

---

(١) مفاتيح الغيب ٢٧/ ٦٢٠

وقد استدل السلف بهذه الحقيقة، فعن سعيد بن جبير -رحمه الله- أن عمر -رضي الله عنه- سأل أصحابه عن ليلة القدر، فأكثروا فيها فقالوا: كنا نرى أنها في العشر الأوسط ثم بلغنا أنها في العشر الأواخر، فأكثروا فيها فقال بعضهم: ليلة إحدى وعشرين، وقال بعضهم: ثلاث وعشرين، وقال بعضهم: سبع وعشرين، فقال عمر -رضي الله عنه-:مالك يا ابن عباس لا تتكلم؟! قال: الله أعلم، قال: قد نعلم أن الله أعلم ولكني إنما أسألك عن علمك، فقال ابن عباس -رضي الله عنهما-: إن الله وتر يحب الوتر، خلق سبع سموات وجعل عدد الأيام سبعا، وجعل الطواف بالبيت سبعا والسعي بين الصفا والمروة سبعا ورمي الجمار سبعا، وخلق الإنسان من سبع وجعل رزقه من سبع، قال: لا أراها والله أعلم إلا لثلاث يمضين وسبع يبقين[(١)].

الحكمة الثالثة: هي أن الله -تبارك و-تعالى-- خلق لكل ما خلق من خلقه ثانياً له، مخالفاً في معناه، فكل واحد منهما زوج للآخر، وإنما نبه -جل ثناؤه- بذلك من خلقه على قدرته على خلق ما يشاء خلقه من شيء وأنه ليس كالأشياء التي شأنها فعل نوع واحد دون خلافه، إذ كل ما صفته فعل نوع واحد دون ما عداه كالنار التي شأنها التسخين ولا تصلح للتبريد، وكالثلج الذي شأنه التبريد ولا يصلح للتسخين، فلا يجوز أن يوصف بالكمال، وإنما كمال المدح للقادر على فعل كل ما شاء فعله من الأشياء المتفقة

(١) أخرجه ابن خزيمة في صحيحه ب:الأمر بالتماس ليلة القدر ٣/ ٣٢٢ بنحوه، والحاكم في المستدرك ك:الصوم ١/ ٦٠٤ بنحوه أيضا، وقال: صحيح على شرط مسلم ولم يخرجه.

والمختلفة. ذكر ذلك الإمام ابن جرير -رحمه الله-[١]

ومن هذا القبيل قوله -تعالى-: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ﴾ الملك: ٢ ﴿ وَأَنَّ إِلَىٰ رَبِّكَ ٱلْمُنتَهَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ النجم: ٤٣-٤٤ قال الفخر الرازي: هذه الآيات مثبتات لمسائل يتوقف عليها الإسلام، من جملتها قدرة اللهّ -تعالى- فإن من الفلاسفة من يعترف بأن للهّ المنتهى وأنه واحد، لكن يقول: هو موجب لا قادر فقال -تعالى-: هو أوجد ضدين: الضحك والبكاء في محل واحد، والموت والحياة، والذكورة والأنوثة في مادة واحدة، وإن ذلك لا يكون إلا من قادر، واعترف به كلّ عاقل، فهذا تقرير لقدرة الخالق -جل وعلا- على خلق هذه الأشياء المتضادة. اهـ[٢]

وعلى هذا فالله -تعالى- فرد ووتر، وهو قادر -جل جلاله- قدرة مطلقة على خلق الأشياء المتفقة والمفترقة.

الحكمة الرابعة: بيان القدرة المطلقة لله -تعالى- على الخلق والتصوير، وإليه الإشارة بقوله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّهُۥ خَلَقَ ٱلزَّوْجَيْنِ ٱلذَّكَرَ وَٱلْأُنثَىٰ مِن نُّطْفَةٍ إِذَا تُمْنَىٰ ﴾ النجم: ٤٥-٤٦ فهو الذي خلق هذين الضدين من معدن واحد هو النطفة التي تمنى، ومهما علل الطبائعيون اختلاف نوع الجنين إلا أنهم لم يصلوا إلى كنه هذه العلة التي مردها أولاً وآخراً إلى قدرة الله -تعالى- وحكمته. أشار إلى

(١) تفسير ابن جرير الطبري ٢١/ ٥٤٨

(٢) مفاتيح الغيب للرازي ٢٩/ ٢٧٩

ذلك الفخر الرازي. [(١)]

وذكر أبو حيان -رحمه الله- (ت٧٤٥هـ) أن العلة في عدم الفصل بالضمير (هو) في هذه الآية ووجوده في الآيتين اللتين سبقتها وهما قوله -تعالى-: ﴿ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ وَأَنَّهُۥ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴾ النجم: ٤٣ - ٤٤ أنه لا يمكن لأحد أن ينسب الخلق لنفسه لا حقيقة ولا مجازاً ولا ادّعاءً، وأما الإحياء والإماتة فقد ادعاهما النمروذ كذاباً متواقحاً، والإضحاك والإبكاء يمكن ادعاؤهما، وأما الخلق فلا. [(٢)]

الحكمة الخامسة: فيه إشارة إلى القدرة الإلهية على الإعادة بعد الموت، ذكرها الإمام القرطبي -رحمه الله-(٦٧١هـ) وغيره [(٣)]. وهو معنى دقيق بلا شك. فالله -تعالى- قادر على الجمع بين الإفناء والإعادة في مخلوق واحد. ولذا ختمت الآية بقوله -تعالى-: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ فهذا الاستدلال على المعاد بخلق يشاهدون كيفياته وأطواره كلما لفتوا أبصارهم، وقدحوا أفكارهم، وهو خلق الذكر والأنثى ليكون منهما إنشاء خلق جديد يخلف ما سلفه، وذلك أقرب تمثيل لإنشاء الخلق بعد الفناء. وهو البعث الذي أنكروه، لأن الأشياء تقرب بما هو واضح من أحوال أمثالها. فقوله: ﴿ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴾ أي تتفكرون في الفروق بين الممكنات والمستحيلات، وتتفكرون

(١) انظر مفاتيح الغيب ٢٩/ ٢٨٠

(٢) البحر المحيط لأبي حيان ١/ ٧٤

(٣) تفسير القرطبي ١٧/ ٥٣

في مراتب الإمكان، فلا يختلط عليكم الاستبعاد وقلة الاعتياد بالاستحالة فتتوهموا غريباً محالاً. فلما كان تجديد التفكر المغفول عنه شبيهاً بتذكر الشيء المنسي أطلق عليه تذكراً، وهذا في معنى قوله -تعالى-: ﴿ نَحْنُ قَدَّرْنَا بَيْنَكُمُ الْمَوْتَ وَمَا نَحْنُ بِمَسْبُوقِينَ عَلَىٰ أَن نُّبَدِّلَ أَمْثَالَكُمْ وَنُنشِئَكُمْ فِي مَا لَا تَعْلَمُونَ وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ النَّشْأَةَ الْأُولَىٰ فَلَوْلَا تَذَكَّرُونَ ﴾ الواقعة: ٦٠ - ٦٢

فقد ذيّل هنالك بالحث على التذكر، كما ذيّل هنا برجاء التذكر، فأفاد أن خلق الذكر والأنثى من نطفة هو النشأة الأولى وهي الدالة على النشأة الآخرة. (١)

وذكر الله -تعالى- نحواً من ذلك في قوله: ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنبِتُ الْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس: ٣٦ حيث بدأ في هذه الآية بالنبات إيثاراً له بالأهمية في هذا المقام لأنه أشبه بالبعث الذي أومأ إليه قوله: ﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيْنَا مُحْضَرُونَ ﴾ يس: ٣٢ (٢)

وقد قال -تعالى-: ﴿ أَيَحْسَبُ الْإِنسَانُ أَن يُتْرَكَ سُدًى أَلَمْ يَكُ نُطْفَةً مِّن مَّنِيٍّ يُمْنَىٰ ثُمَّ كَانَ عَلَقَةً فَخَلَقَ فَسَوَّىٰ فَجَعَلَ مِنْهُ الزَّوْجَيْنِ الذَّكَرَ وَالْأُنثَىٰ أَلَيْسَ ذَٰلِكَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ ﴾ القيامة: ٣٦ - ٤٠

وردّ على منكر البعث استبعاداً له بقوله: ﴿ وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ ۖ قَالَ مَن يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ ۖ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ

(١) التحرير والتنوير لمحمد الطاهر بن عاشور ٢٧/ ٣٨ بتصرف

(٢) التحرير والتنوير ٢٢/ ٢٢٨

ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُم مِّنَ ٱلشَّجَرِ ٱلْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَآ أَنتُم مِّنْهُ تُوقِدُونَ ﴾ يس: ٧٨-٨٠

الحكمة السادسة: الدلالة الظاهرة على كمال القدرة ونهاية الحكمة، حتى يصح الابتلاء والامتحان، فيتعبد الفاضل بالشكر والمفضول بالصبر، وتعرف حقيقة كل شيء بضده، فالإنسان إنما يعرف قدر الشباب عند الشيب، ويعرف قدر الأمن عند الخوف فيكون ذلك أبلغ في تعريف النعم. أشار لذلك الفخر الرازي -رحمه الله- إشارة لطيفة. [1] ولذا ذكّر الله عباده بشيء من هذا في آيات عديدة منها قوله -تعالى- ﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴾ الروم: ٥٤ ﴿ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَٰتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴾ الزخرف: ٣٢

الحكمة السابعة: التنبيه على أن الزوجية البشرية ليست نشازاً في هذا الكون، بل هي دائرة في فلك الزوجية الكونية التي تكتنفها الأوامر والنواهي الإلهية. هذه الزوجية البشرية التي ينبثق منها نظام الأسرة في الإسلام هي التي ترجع إلى معين الفطرة وأصل الخلقة وقاعدة التكوين الأولى للأحياء جميعاً وللمخلوقات كافة. وهذا التذكير يكشف عن أن جاذبية الفطرة بين الجنسين، ليست لمجرد الجمع بين مطلق الذُكْران ومطلق الإناث، ولكن لتتجه إلى إقامة الأسر، وإقامة البيوت المؤمنة بربها، الخاضعة لسلطانه، شأنها شأن كل الكائنات

(١) مفاتيح الغيب للرازي ٣١/ ٩

الزوجية في هذا الكون[١]. وقد ذكر هذا المعنى في غير موضع من كتاب الله – تعالى–، قال –تعالى–: ﴿ لَخَلْقُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ غافر: ٥٧ ﴿ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴾ فصلت: ١١ ﴿ أَفَغَيْرَ دِينِ ٱللَّهِ يَبْغُونَ وَلَهُۥٓ أَسْلَمَ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَإِلَيْهِ يُرْجَعُونَ ﴾ آل عمران: ٨٣

﴿ وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ طَوْعًا وَكَرْهًا وَظِلَٰلُهُم بِٱلْغُدُوِّ وَٱلْءَاصَالِ ﴾ الرعد: ١٥

فالإنسان ذرّة في مجرة الكون الهائلة التي استسلمت لبارئها، وأذعنت لخالقها، فكذلك ينبغي أن يكون هذا العبد.

هذه الحكم هي جملة ماذكره علماء السلف من المفسرين والباحثين، ولاشك أنها حكم وفوائد جليلة القدر عظيمة النفع، بيد أنها تتوجه لإيقاظ القلوب وتحقيق الغاية العظمى التي من أجلها خلقت البشرية وأوجدت.

(١) انظر: في ظلال القرآن لسيد قطب ٢/ ٦٤٨

المبحث الثالث: نواتج العناية الربانية بآيات الزوجية الكونية :-

في الآيات السابقة اتضحت جلية عناية الوحي الإلهي بقضية الزوجية في هذا الكون، ومن هنا يمكن للقارئ أن يصل لنواتج جليلة يمكن ذكر بعضها في الأمور التالية:-

أولاً: علم الزوجية الكونية له أسسه الجلية في القرآن العظيم، الكتاب الذي لا تنقضي عجائبه، والذي قال المولى -جل وعلا- عنه: ﴿ مَّا فَرَّطْنَا فِي ٱلْكِتَٰبِ مِن شَيْءٍ ﴾ الأنعام: ٣٨

ثانياً: راعى الوحي الإلهي ما يحتاج إليه المخاطبون في وقت تنزل الوحي، وهو التذكير بالإيمان وعظمة الخالق -جل وعلا-، والاستدلال بتوحيد الربوبية على توحيد العبادة، والإيمان بالبعث، وما شابه ذلك من قضايا التوحيد الكبرى. أما ما عدا ذلك فقد أشار إليه القرآن بقوله -تعالى-: ﴿ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس: ٣٦ قال الألوسي -رحمه الله- (ت١٢٧٠هـ): مما لم يطلعهم الله -تعالى-، ولم يجعل لهم طريقاً إلى معرفته بخصوصياته، وإنما أطلعهم -سبحانه- على ذلك بطريق الإجمال على منهاج ﴿ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴾ النحل: ٨ لما نيط به وقوفهم على عظم قدرته وسعة ملكه وجلالة سلطانه -عز وجل-، ولعله لما كان العلم من أخص صفات الربوبية لم يثبت على وجه الكمال والإحاطة لأحد سواه -سبحانه-، على أن ظرف الممكن يضيق عن الإحاطة، فما يجهله كل أحد أكثر مما يعلمه بكثير، وقد يقال على بعض الاعتبارات: إن ما يعلمه كل أحد متناهٍ وما يجهله غير

متناهٍ ولا نسبة بين المتناهي وغير المتناهي أصلاً فلا نسبة بين معلوم كل أحد ومجهوله، وتأمل في هذا مع دعوى بعض الأكابر الوقوف على الأعيان الثابتة والاطلاع عليها﴿ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴾ طه: ١١٤ اهـ [١]

ثالثاً:الآيات التي تقرر هذه الحقيقة كثيرة، صريحة وغير صريحة، مبثوثة في طيات السور الكريمة، فإن قيل:لمَ لم تذكر هذه السنن العجيبة في موضع واحد من القرآن فتكون أظهر للناس ويكون المؤمنون بها أسبق إلى ما أظهره العلم منها في هذا الزمان؟

فالجواب من أوجه:-

١- إن أسلوب القرآن في بيان أصول الدين وفروعه المقصودة لذاتها، هو إيرادها في آيات متفرقة في السور، ممزوجة بغيرها من أنواع المسائل والفوائد، لا في مكان واحد.

٢- إن هذه السنن قد ذكرت في سياق الآيات الدالة على عقيدتي: التوحيد، والبعث، فكان المناسب أن تذكر معها في مواضعها.

٣-إن العلم التفصيلي بها ليس من مقاصد الوحي الذاتية، وإنما هو من العلوم التي يصل إليها البشر بكسبهم وبحثهم، وإنما يكون الوحي مرشداً لهم إليها.

٤- لو جمعت هذه الآيات في موضع واحد على أنها بيان تام لجميع أطوار التكوين لتعذر فهمها قبل تحصيل مقدماته بالبحث العلمي، ولكانت فتنة لبعض من فهمها بالجملة.

---

(١) روح المعاني ١٢/ ١٠

رابعاً: فتح الكتاب العزيز أبواب الفكر والبحث للأجيال المتعاقبة في هذا الباب إلى قيام الساعة. قال -تعالى-: ﴿ سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴾ يس: ٣٦

ولو لم يعرض للحضارة الإسلامية من المصائب والفتن الاجتماعية والحربية والشقاق الديني والسياسي ما وقف بترقي العلم والبحث، لسبقوا إلى ما وصل إليه غيرهم، فإن المعارف الكونية يمد بعضها بعضا ما لم يعرض لها ما يوقف سيرها[1] ولكن تاريخ هذه الأمة يعلمنا أنها أمة ولاّدة، وأن علومها ومعارفها لا تقف عند حدّ، وستكشف قادمات الأيام -إن شاء الله - عن عودتها لتتبوأ موضع الصدارة في قيادة الأمم للعلوم والمعارف.

(١) انظر تفسير المنار لمحمد رشيد رضا ١٢/ ٢٠

الخاتمة

من خلال هذه الورقات التي تستعرض شيئاً من آيات الكتاب العزيز المتعلقة بالزوجية في هذا الكون يمكن الخلوص للنتائج التالية:-

١- عظمة كتاب الله، حيث أشار إلى هذه الحقيقة الكونية قبل أربعة عشر قرناً في عبارات وجمل بارعة الجمال تأخذ باللب وتأسر الخيال.

٢- المعجزة البيانية في القرآن العظيم، فقد بيّن للذين أنزل عليهم ما الخلق كلهم بحاجة إليه من هذه الحقيقة، وهي قضية التوحيد والإيمان، ثم أبقى الباب مشرعاً فلم يصادر شيئاً مما يمكن أن تكشفه الحقائق العلمية، ولم يوصد الباب في وجه الكشوفات المتعاقبة في هذا الشأن.

٣- الأثر البليغ لنظرية الزوجية في هذا الكون الفسيح، فهي تنتظمه من الذرة إلى المجرة، وهو برهان وحدانية الواحد الصمد جلّ في علاه.

٤- ما ذكره علماء التفسير وجهابذة الفكر الإسلامي قديماً دليل جليّ على سعة أفقهم، ومدى اطلاعهم الواسع على كثير من قضايا العلم التجريبي، مما يبطل دعوى التنافر بين العلم والدين.

٥- تؤكد هذه الآيات وأمثالها التوافق الدقيق والاتساق المتقن بين الآيات الشرعية والآيات الكونية، فكلاهما يهدف إلى إسعاد البشرية ورفع الآصار والأغلال عنهم، ليسعدوا بما سخره الله لهم من نعمة الإيمان والعقل، لا لتكون هذه الكشوفات والحقائق نقمة على البشر وسبباً لهلاكهم واستئصال شأفة الحياة المطمئنة.

وختاماً فكتاب الله -تعالى- حافل بهذه الحقائق العظيمة، مترع بما لم

تبلغه عقول البشر القاصرة وأفهامهم الضعيفة، والعلم التجريبي مازال يخرج كنوزاً مبهرة، ويظهر خبايا الوحي الإلهي العظيم. ومن أهم ما أوصي به في ختام هذه الورقات:-

١- الاهتمام بالجوانب الإيمانية عند الحديث عن الحقائق العلمية التجريبية، وربط هذا بذاك حتى تدرك الأجيال الحقيقة كاملة بأطرافها.

٢- إيصال هذه الحقائق الإيمانية إلى أمم الأرض قاطبة، بلغاتهم التي يفهمونها، حتى تدرك هذه الأمم القيم الروحية العليا، وأن هذا الدين دين الرحمة، وهو -وحده- الكفيل بإسعاد البشرية، وكبح جماح العلوم المادية التي تتسبب مع مرور الوقت في إشقاء البشرية لا في إسعادها.

وإنني بعد هذا أشكر الله -تعالى- وأسأله للجميع التوفيق لصالح القول والعمل.

وصلى الله وسلم وبارك على معلم الناس الخير وعلى آله وصحبه أجمعين.

المراجع

- أضواء البيان في إيضاح القرآن بالقرآن - محمد الأمين بن محمد المختار الجكني الشنقيطي (ت١٣٩٣هـ)الناشر: دار الفكر للطباعة و النشر و التوزيع بيروت -١٤١٥ هـ
- البحر المحيط - محمد بن يوسف الشهير بأبي حيان الأندلسي- دار الفكر - بيروت- ١٤٢٠ هـ تحقيق: صدقي محمد جميل
- بصائر ذوي التمييز في لطائف الكتاب العزيز -مجد الدين أبو طاهر محمد بن يعقوب الفيروزآبادى (المتوفى: ٨١٧هـ)
- التحريروالتنوير المعروف بتفسير ابن عاشور: محمد الطاهر بن محمد الطاهر بن عاشور التونسي (المتوفى: ١٣٩٣هـ) الناشر: مؤسسة التاريخ العربي، بيروت – لبنان ط: الأولى ١٤٢٠هـ/ ٢٠٠٠م.
- التعريفات – الشريف علي بن محمد الجرجاني،دار الكتب العلمية بيروت ١٤١٦هـ
- تفسير ابن أبي حاتم - الإمام الحافظ أبو محمد عبد الرحمن بن أبي حاتم الرازي (٣٢٧ هـ) المكتبة العصرية - صيدا ت: أسعد محمد الطيب.
- تفسير القرآن العظيم -أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير القرشي الدمشقي ٧٧٤ هـ ت: سامي بن محمد سلامة -الناشر: دار طيبة للنشر والتوزيع، ط: الثانية ١٤٢٠هـ
- تفسير المنار - محمد رشيد بن علي رضا -الناشر: الهيئة المصرية العامة للكتاب: ١٩٩٠ م.
- جامع البيان عن تأويل آي القرآن- أبو جعفر محمد بن جرير الطبري (٢٢٤ – ٣١٠هـ) – الناشر: دار هجر. الطبعة الأولى.

- الجامع الصحيح – محمد بن إسماعيل البخاري –ط:السلفية ت: محمد فؤاد عبدالباقي.
- الجامع الصحيح –مسلم بن الحجاج القشيري –ط:دار الشعب ت:عبدالله أبو زينة.
- الجامع لأحكام القرآن = تفسير القرطبي: أبوعبد الله محمد بن أحمد القرطبي (المتوفى: ٦٧١هـ) تحقيق: أحمد البردوني وإبراهيم أطفيش الناشر: دار الكتب المصرية – القاهرة ط: الثانية، ١٣٨٤هـ.
- الدر المنثور في التفسير بالمأثور –عبد الرحمن بن أبي بكر السيوطي – تحقيق: مركز هجر للبحوث الناشر: دار هجر – مصر ـ ١٤٢٤هـ ـ ٢٠٠٣م
- روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني - شهاب الدين محمود بن عبد الله الحسيني الألوسي- دار الكتب العلمية ـ بيروت: ١٤١٥ هـ ت: على عبد البارى عطية.
- الجامع الصحيح المعروف بسنن الترمذي، محمد بن عيسى –ت: عبدالرحمن محمد عثمان–دار الفكر.
- الحقائق في تعريفات مصطلحات علماء الكلام – محمد بن يوسف السنوسي التلمساني – نسخة وورد مطبوعة عن نسخة وجدت بالحرم المدني.
- السنن–، أبوداود سليمان بن الأشعث السجستاني ت:عزت الدعاس وعادل السيد–ط: دار الحديث.
- شرح الكوكب المنير – تقي الدين الفتوحي –مطبعة السنة المحمدية
- شرح مختصر الروضة – نجم الدين الطوسي – مؤسسة الرسالة ١٤٠٧هـ

- صحيح ابن خزيمة –محمد بن إسحاق – الناشر: المكتب الإسلامي – بيروت، ١٣٩٠هـ تحقيق: د. محمد مصطفى الأعظمي.
- في ظلال القرآن– سيد قطب إبراهيم ـ دار الشروق ـ القاهرة
- المستدرك على الصحيحين –أبو عبدالله الحاكم النيسابوري – الناشر: دار الكتب العلمية – بيروت – الطبعة الأولى، ١٤١١هـ تحقيق: مصطفى عبد القادر عطا.
- معاني القرآن – أبو زكريا يحيى بن زياد الفراء – ت:أحمد يوسف نجاتى/ محمدعلى نجار / عبدالفتاح إسماعيل شلبى –الناشر: الدارالمصرية للتأليف والترجمة: مصر
- معيار العلم – أبو حامدمحمد الغزالي – ط:المطبعة العربية بمصر١٣٤٦هـ
- مفاتيح الغيب ـ الإمام: محمد بن عمر المعروف بفخر الدين الرازى – دار النشر: دار إحياء التراث العربى ـ بيروت.
- مفردات ألفاظ القرآن – الراغب الأصفهاني – ت:صفوان داودي – ط:الأولى دار القلم دمشق
- النكت والعيون (تفسير الماوردى) المؤلف: أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب الماوردي البصري: دار الكتب العلمية – بيروت / لبنان –ت: السيد بن عبد المقصود